لا تسوغ من خلال المقابلة بين اللفظين الأجنبيين، إذ لابد أن تجد تسويغها في اللغة التي يكتب بها، ويفكر فيها، الباحث، كما أنه لا وجود لمقابلة معيارية بين mentality و rationality. مثال آخر، يشير الباحث إلى أن "التشيع في العراق مؤسسة ثقافية...مقابل التسنن كمؤسسة اجتماعية" (ص٤١)، وأظن أن الثقافي لا وجود له إلاّ في إطار تشكيلة أو مؤسسة اجتماعية. فواقع الحال يفيد أن الإنسان الاجتماعي، والجماعات الاجتماعية هم تموقعات للثقافي.

يمكن القول إن الكتاب هو جولة "حرة" وقائعياً وسردياً، تعتمد القصص اليومية والحكايات، والنوادر، وهذه طريقة في الكتابة لا تذكّر إلاّ بعلي الوردي. ليس هذا حسب، فالكاتب يحاكي علي الوردي أسلوبياً حتى في بعض التعبيرات التهكمية والساخرة. وكما الوردي يسعى الباحث إلى اقتناص العبرة (وإن جرى البحث سيميائياً) من الحدث البسيط، والحكاية الدالة.

وأخيراً، لابدّ من التنويه إلى أن الثقافة العراقية تفتقر عموماً إلى البحث الأنثروبولوجي العلمي الجاد، ونأمل أن تكون بحوث الدكتور شاكر شاهين وزملائه استئنافاً للبحث في هذا الحقل العلمي الذي توارى كلياً خلال سنوات طويلة.

قراءة: علي حاكم صالح

غير المألوف في اليومي والمألوف
تأليف ياسين النصيّر

صدر عن دار نينوى للدراسات والنشر بدمشق كتاب جديد للناقد ياسين النصير بعنوان "غير المألوف في اليومي والمألوف: بحث في سوسيولوجيا الشعرية" ٢٠١٣، (٥٧٦ صفحة). ويمكن الإشارة ابتداء إلى أن مفهوم "غير اليومي" هو الانزياح عن لغة الحياة اليومية، بمعنى أن الشعرية هي "غير اليومي وغير المألوف"، أي الشكل الفني الذي تستخلص مادته وفنيته من الممارسة الحياتية اليومية ومن اللغة التي تتشكل ضمن هذه الممارسة، ولذلك اختصّ البحث بسوسيولوجية الشعرية، أي البنى الاجتماعية والثقافية التي تؤسس للغة الشعرية الجديدة من داخل بنية وأشكال لغة الحياة اليومية. والمسعى النقدي الجديد لا ينفصل عن اشتغال الناقد ياسين النصير على ثيمات وأفكار جديدة مهّد بعضها للنقد الأدبي أن يجد له مديات جديدة: كالمكان في النص الأدبي والفكري والفلسفي، ودور الاستهلال، والكشف عن الحداثة المقيدة، ونحو منهج لقراءة الحكاية الشعبية، وغيرها من البحوث الجديدة.

كتاب غير المألوف يُعدّ جهداً نقدياً واسعاً يتقصى الناقد فيه جذورَ قصيدة اليومي والمألوف وأشكالها، وأهميتها في شعرية الحركة الثانية للحداثة الشعرية. ومنذ البداية تحدث الناقد عن مفهوم فعل الأمر "إقرأ" الذي كان عبارة عن سؤال جبريل للرسول محمد عندما قال له "إقرأ"، فردّ الرسول عليه "ما أنا بقارئ". وبحث الناقد عن دور القراءة عبر الفعل إقرأ وأهميته الفكرية في البحث والتقصي والاختلاف عن قراءات أخرى، واستخلص الناقد أن إقرأ كما أرداها جبرائيل للرسول، تعني البحث عما هو مغاير للمألوف من الكتب السماوية وقراءاتها، وخلق قراءات جديدة للدين، واستخلص الناقد أن إقرأ تعني الشعرية الحديثة التي تبني أسسها المعرفية من المغايرة لما هو مألوف ويومي في حياتنا كلّها.

يتناول الكتابُ في ثلاثة أقسام كبيرة، وبمحتويات ٢٦ فصلاً، أهمية قصيدة اليومي والمألوف بعدها نصّاً شعرياً وفنياً للحركة الثانية للحداثة الشعرية العربية، فعالج القسم الأول في أربعة فصول، الجذور الأولية التي مهدت لتشكيلات لغة شعرية جديدة، الفصل الأول تحدث عن جذر العلاقة بين المكان والزمان ودورهما في صياغة رؤية جديدة لمفومي الزمان والمكان في الشعرية الحديثة. وعالج الفصل الثاني الأشكال الشعرية التي مهدت لظهور قصيدة اليومي والمألوف، وهي القصيدة الوثيقة والقصيدة الشعبية القديمة وبحث عن جذرهما الفني في الشعرية العربية وفي الأشكال الفنية الاوربية الحديثة. أما الفصل الثاث من القسم الأول، فتحدث عن دور الأطر المهيمنة ودور ضد الإطار المهيمنة، وهو هنا يعالج الأطر التي تحدّ من انطلاقة الشعرية خارج قوالبها القديمة، وأوضح أن أيّ تجديد لابد من أن يكسر إطاراً قديماً ويؤسس لإطار جديد، متتبعاً سير هذه العملية الجدلية في الحياة والثقافة والفكر والفلسفة. ثم تحدث عن مهمينة أخرى هي مهيمنة السلطان ومهيمنة اللسان، وهما مهيمنتان لازمتا الثقافة منذ القدم، السلطان بمعناه الشامل أيدولوجياً وسلطة، أما ضد السلطان فهو اللسان الذي ينشأ عبر المتغيرات الفلسفية والثقافية والاقتصادية والعملية، فاللسان الحديث يرتبط بنشوء المدينة وتطور العمل فيها، وخلق لغة يومية حديثة تكسر هذه الأطر المهيمنات القديمة التي تريد أن يكون المجتمع ساكناً ومقيداً بقوى صيانية مهيمنة. كما تطرق في هذا الفصل إلى الجذور اللغوية التي تفرضها الأيدولوجيات على اللغة اليومية، أما الفصل الرابع من القسم الأول وهو الأوسع والمهم حيث عالج دور المؤسسات الاجتماعية في نشوء لغة يومية حديثة، يمكنها أن تدخل ميادين الشعرية بطاقتها التعبيرية الجديدة، وسمي هذه المؤسسات السلطات الأربع، هي: سلطة البيت/ الأسرة، سلطة الشارع / المدينة، سلطة المؤسسة / العمل، وسلطة الحيز الذاتي / الإبداع، وفي هذه السلطات تطرق الناقد إلى الأشكال اللغوية التي تنشأ يومياً في هذه السلطات، والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر في سياقاتها، وتطرق إلى أهميتها في تغذية الصورة الشعرية وعدّ هذه السلطات هي الأرضية التي تنمو فيها اللغات العادية والفنية ودورها في التشكيلات المعرفية وتأسيس بنى معرفية جديدة، كما عالج دور العمل في

تكوين لغة يومية مشحونة بمفردات العمل وعالج هذا الفصل دور الرأسمالية في فرض لغة يومية مشحونة بمفرداتها الايديولوجية، كما وضح الفصل نشوء اللغات الاجتماعية المعارضة للمهمينات الفكرية والاقتصادية والسياسية التي تفرض حضور لغتها وأشكالها التعبيرية على الناس والشارع والثقافة. أما الفصل الرابع فقد عالج أهمية الإبداع الذاتي في تكوين لغة يومية خاصة وهو ما يميز الاديب عن سواه، وبرز دور المثقف في المجتمع من أن سلطة الإبداع والتغيير مهمة المثقفين في العصر لحديث، واعتبر هذه المؤسسات الأربع الإطار السوسيولوجي الذي تنمو فيه كل التجديدات اللغوية،والكيفية التي تنقلها قصيدة اليومي والمألوف، صيغاً فنية وجمالية.

أما القسم الثاني وشمل ثلاثة فصول كبيرة، تحدث في الفصل الأول من القسم الثاني عن غير مفهوم المألوف في اليومي والمألوف، عبر توصيف نقدي وفلسفي عن ما هو غير المألوف، ثم عرج على جذور القصيدة اليومية في عدد من النماذج الشعرية العراقية والعربية والعالمية، وخلص في هذا الفصل إلى تحديد الصفة النقدية والفكرية والفلسفية لشعرية غير المألوف في اليومي والمألوف، في الفصل الثاني من القسم الثاني تحدث الكتاب عن البنى الصيانية المهيمنة والتي تشكل أرضية صلبة للثقافة ودورها في فرض طرق فنية على القصيدة، يمكنها أن تحدّ من انطلاقتها أو تطورها، هذه القوى الصيانية تتحكم بسياق الثقافة، بل وتفرض عليها طرق تداول وتفكير، كمهيمنة الجذر المثيولوجي، والجذر الديني، والجذر السلطوي، والجذر الجنسي، وأثرها على صور الحياة اليومية للناس، وبالتالي على اللغة الشعرية. ثم تحدث هذا الفصل عن مصادر اليومي والمألوف الاجتماعية والثقافية والفلسفية، وأهميتها في استعادة اليومية صفة ولغة في بنية الشعرية الحديثة، ثم تحدث الفصل عن الآفاق الفكرية والاجتماعية لتحديث وتطوير القصيدة اليومية والمجالات التي تعالجها، وأخيراً عالج هذا الفصل كيفية بناء قصيدة اليومي والمألوف عبر تحليل لنموذج شعري معاصر، فكشف فيه عن الآلية التي تتحكم بسياقات بنية القصيدة اليومية. أما الفصل الثالث من القسم الثاني فقد عالج البنى التدميرية، أي البنى التجديدية والثورية التي غيرت من سياق الشعرية القديمة واستخلصت عبر نماذج عديدة السمه الجوهرية اجتماعياً وفنياً لشكل ومحتوى قصيدة اليومي والمألوف. وفي هذا الفصل تحدث الكتاب عن دور الأقنعة كبنية تدميرية للشكل المألوف وعن دور الاسطورة في تغيير بنية المعرفة الثقافية القديمة ودورها في الاستعارة والتجديد، كما تحدث عن الهامش الذي يصنعه الفضاء الاجتماعي لتغيير الذائقة الأدبية ولفرض أشكال تعبيرية جديدة.

في القسم الثالث من الكتاب تحدث عبر أربعة فصول كبيرة عن واقع قصيدة اليومي والمألوف عن المنجز منها، في الفصل الأول تحدث عن تحولات الكلمة الشعرية، والكيفية التي استقرت عليها حالياً، ثم تحدث الفصل الثاني عن دور النغمة الشعبية في قصيدة اليومي والمألوف، وتحدث الفصل الثالث عن

جماليات قصيدة اليومي والمألوف، أما الفصل الرابع فتحدث عن أشكاليات وعيوب والمآخذ على قصيدة اليومي والمألوف.

يعد الكتاب سفراً طويلاً في تقصي جذور الشعرية الحديثة وصولاً إلى تأسيس شكل فني جديد كان موجوداً في الشعرية العربية ولكنه لم يوصف ويحدد، قصيدة اليومي والمألوف التي نشأت عبر الكشف عن "غير المألوف" في الحياة اليومية وفي الأشكال الشعرية القديمة وفي النماذج الشعبية التي فرضتها حياة المدينة الحديثة من لغة وممارسات وأشكال فنية تعبيرية، فالكتاب يُعَدُّ مسعى في هذا الاتجاه مشفوعاً بعشرات النماذج لشعراء عراقيين وعرب وأجانب، وركز على الأشكال الفنية التي اتخذتها الشعرية قبل أن تصبح نمطاً شعرياً جديداً، باحثاً عن جذورها وأشكالها وتطوراتها والبئيات التي نشأت فيها، والأشكال التعبيرية التي رافقتها، والعوامل الذاتية والموضوعية التي أسهمت في ظهور مثل هذه القصيدة في ثقافتنا العربية كجزء من تطور الحركة الثانية للحداثة الشعرية العربية.

والجدير بالذكر أن الناقد سبق أن قدم بحثاً أولياً لقصيدة اليومي والمألوف قبل خمس وعشرين سنة في المربد السادس ١٩٨٨ وبقي الموضوع، كما يشير في المقدمة، يستحمّ في نار البحث والمتابعة طوال هذه الفترة، ليخرج مشفوعاً بمصادر جاوزت ٢٠٠ مصدراً ومقتبساً عكست التصورات المهمة في ميدان سوسيولوجية الحداثة الشعرية.

قراءة: مجلة الكوفة